

1 لاهوت المسيح. لا بد للباحث في المسيحية، أن يقف أمام عدد من القضايا الخطيرة. ولعل أخطرها لاهوت المسيح. وأعني بكلمة لاهوت المسيح، اعتقاد المسيحيين بأن يسوع، الذي ولد من مريم العذراء في فلسطين، وعاش على أرضنا ردحاً من الزمن، هو ابن الله والله المابن.

قد يبدو هذا الاعتقاد صعباً لكثيرين، إلا أن الصعوبة لا تضير المسيحية في كونها ديناً واحداً صحيحاً، لأن اعتقاد المسيحيين لا يستلزم وجود سابق ولماحق، وأكبر وأصغر، أو ما شابه ذلك. بل أن الله واحد، وإن ما أعلن لنا بهذه الأسماء، لكي يظهر ترتيب عمل المضاء.

وقبل الانطلاق في التأمل في لاهوت المسيح، ينبغي أن نتوقف قليلاً أمام الإعلانات المعروفة في الكتاب المقدس عن أبوة الله للمسيح:

أعلانات الآب: قال ملائكة الله لمريم العذراء: **هَذَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ.** هَذَا يَكُونُ عَظِيماً، وَابْنُ الْعَلِيِّ يَدْعَى الْإِنْجِيلَ بِحَسَبِ لَوْقَا 1: 31 و 32.

وحين ولد يسوع تمت النبوة القائلة في إشعياء **وَلَكِنَّ يَعْطِيكُمْ الْمَسِيحَ نَفْسَهُ آيَةً: هَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّاْنُ وَيُدْعَى إِشْعِيَاءُ 7: 14** والإنجيل بحسب متى 1: 23.

**فَلَمَّا بَعَثَ يَسُوعُ صِدْقَ لِقَوْلِهِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا الْمَسَامَاتُ قَدْ انْصَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ الْمَلَكِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَأَتَى عَلَيْهِ، وَصَوْتُ مِنَ الْمَسَامَاتِ قَائِلاً: هَذَا هُوَ ابْنِي الْمَحْبُوبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ الْإِنْجِيلَ بِحَسَبِ مَتَّى 3: 16-17.**

فيما كان يسوع مع ثلاثة من تلاميذه على جبل حرمون، تكلم مع موسى وإيليا وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظلت لهم، **وَصَوْتُ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: هَذَا هُوَ ابْنِي الْمَحْبُوبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ.** له اس م ع و ا الإنجيل بحسب متى 17: 5.

ب إعلانات المسيح، قال المسيح في أحد أمثاله: **أَنَا الْمَكْرَمُ الْحَقِيقِيُّ وَأَبِي الْمَكْرَمُ الْإِنْجِيلَ بِحَسَبِ يُوْحَنَّا 15: 1.**

وقال أيضاً: **خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبَعُنِي.** وَأَنَا أَعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَيَّ الْمَأْبَدُ، وَلَا يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي الْإِنْجِيلَ بِحَسَبِ يُوْحَنَّا 10: 27-29.

وقال في خطابه الموداعي: **إِنِّي مَاضٍ إِلَيَّ أَبِي.** وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتِمَّ جَدُّ الْآبِ بِالْمَأْبُونِ الْإِنْجِيلَ بِحَسَبِ يُوْحَنَّا 14: 12 و 13.

وحين افتخر اليهود أمام المسيح بكون موسى أعطاهم المن في البرية، قال لهم: **أَلَحَقَّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمْ الْخَبْزَ مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَبِي يَعْطِيكُمْ الْخَبْزَ الْحَقِيقِي مِنَ السَّمَاءِ الْإِنْجِيلَ بِحَسَبِ يُوْحَنَّا 6: 32.**

وقال لآخرين: **أَلَحَقَّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَدْرُ الْمَأْبُونُ أَنَّ يَوْمَ مَنَافَسِهِ شَيْئاً إِلَّا مَا يَنْظُرُ الْآبُ يَوْمَ ذَلِكَ فَهَذَا يَوْمَ الْمَأْبُونِ كَذَلِكَ. لَأَنَّ الْآبَ يَحِبُّ الْمَأْبُونَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَفْعَلُهُ، وَسُرِّيهِ أَعْمَالاً عَظِيمَةً مِنْ هَذِهِ لَتَتَّعْجَبُوا أَنْتُمْ. لَأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْآبَ يَحِبُّ الْمَأْمُوتَ وَيُحْيِي، كَذَلِكَ الْمَأْبُونُ أَيُّضاً يَحْيِي مَنْ يَشَاءُ. لَأَنَّ الْآبَ لَا يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أُعْطِيَ كُلُّ الْيَوْمِ لَلْمَأْبُونِ، لِكَيْ يَكْرِمَ الْجَمِيعَ الْمَأْبُونَ كَمَا يَكْرِمُونَ الْآبَ. مَنْ لَا يَكْرِمُ الْمَأْبُونَ لَا يَكْرِمُ الْآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ الْإِنْجِيلَ بِحَسَبِ يُوْحَنَّا 5: 19-23.**

**أَلَحَقَّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الْمَأْمُوتُ صَوْتَ ابْنِ الْمَلَكِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ الْإِنْجِيلَ بِحَسَبِ يُوْحَنَّا 5: 25.**

**أَلَحَقَّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَوْمَ الْخَطِيئَةِ هُوَ عِبْدٌ لَلْخَطِيئَةِ. وَالْمَعْبُدُ لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَيَّ الْمَأْبَدُ، أَمَّا الْمَأْبُونُ فَيَبْقَى إِلَيَّ الْمَأْبَدُ. فَإِنَّ حَرِّكُمْ الْمَأْبُونَ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً الْإِنْجِيلَ بِحَسَبِ يُوْحَنَّا 8: 34-36.**

وقال في حوار مع آخرين: أبّي يعمّل حتّى الآن وأنا أعمّل. فمن أجل هذا كان الميوديّ طلّ بون أكثر أن يقتلوه، لأنّه لم ينقض المسبّت فقط، بل قال أيضاً إنّ الله أبوه، مع ادّلائن فسه بالله الإنجيل بحسب يوحنا 17: 18-5.

وقال لسامعيه ذات يوم: كلُّ شيء قد دفع إليّ من أبّي، ولّي س أحديّ عرف الملبّن إلّ الأب، ولّا أحديّ عرف الأب إلّ الملبّن ومن أراد الملبّن أن يعلّن له. تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيليّ المأحمال، وأنا أريحكم الإنجيل بحسب متى 11: 27-28.

حين نتأمّل هذا الإعلان بعمق، يظهر لنا أنّه لا إنسان عاديّ، ولما نبيّ رسول، ولما ملاك من السماء، ولما رئيس ملائكة، يستطيع أن يدرك سرّ شخص يسوع المسيح العجيب كما قال إشعياء النبيّ. وهذا يعني صراحة أن طبيعة المسيح غير محدودة، بحيث لا يقدر أحد أن يدركه إلّا الأب. وبقينا لو أن المسيح مجرد إنسان عاديّ، لما صحّ أن يقول هذا القول. وممّا لا ريب فيه، أن هذا الإعلان المجيد جداً يجعل منا أن من وظيفة المسيح باعتبار وحدته أزليّة مع الأب، أن يعلن لنا هذا الأب الذي وُصف باللامنظور.

قد يبدو هذا الإعلان الذي صرّح به المسيح كلغز صعب الفهم. ولكنّ الروح المقدس ألهم المبشير يوحنا، ليوضحه لنا في سلسلة من الآيات، أبرزها: الله لم يره أحد قط. الملبّن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبر الإنجيل بحسب يوحنا 1: 18. هذه الآية تؤكّد لنا أن أحداً من الناس والملائكة، لم ير الله أو يعرضه المعرفة التي تجعله يلمّ بصفاته الإلهيّة. وإنّ ما يستطيع أن يبيلغ الناس ما أعلن له بالوحي أو بالرؤيا. فموسى وغيره من الأنبياء لم يروا الله. ولكنّهم تلقوا الإعلانات بالوحي، وكان مصدرهم الأقدوم الثاني لله، الذي هو يسوع المسيح ابن الله، فهو وحده يعرف أفكار الله المثلث الأقانيم ومقاصده من تلقاء نفسه لأنّه هو الله الذي ظهر في الجسد 1 تيموثاوس 3: 16.

حين قال يسوع لتلاميذه: أنا والأب واحد. من رأني فقد رأى الأب. أنا في الأب والأب فيّ كان يؤكّد لهم الوحدة بينه وبين أبيه. أي أنّه والأب واحد في الجوهر والمجد والمقام والقدرة والمشيئة والمقصد.

### 3 شهادة المرسل

شهادة بطرس: حين سأل يسوع تلاميذه من تقولون إنّني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس: أنت هو المسيح ابن الله المحي الإنجيل بحسب متى 16: 15 و 16.

شهادة يوحنا: ونعلم أنّ ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لن عرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو المائل الحق والمحيّة الأبديّة 1 يوحنا 5: 20.

شهادة بولس: ولّ كنّ لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس، ليقتديّ المذنبين تحت الناموس، لن نال المتبني غلاطية 4: 4 و 5.

### 4 شهادة الأنبياء

سليمان الحكيم: من صعد إلى المساموات ونزل؟ من جمع الريح في حُفنتيّه؟ من صرّ المياله في ثوب؟ من ثبّت جميع أطراف الأرض؟ ما اسم ابنه إن عرفته؟ كلّ كلمة من الله نقيّة. ترس هو لّم حتّمين به أمثال 30: 4-5.

دانيال: كنّت أرى في رؤي المليل وإذا معس حبّ المسامء مثّل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم المأيام، فقربوه قدامه. فأعطي سلطاناً ومجداً ومملّكوتاً لتت عبد له كلّ المشعوب والمأمم والمألّسنّة. سلطاناه سلطان أبدي ما لن يزول، ومملّكوته ما لا ينقرض دانيال 7: 13 و 14.

يوحنا المعمدان: أنتم أنفستكم تشهدون لي أنّي قلت: ليسبّنا المسسيح بلّ إنّي مرسلّ أمهم... الذي أتى من المسامء هو فوق الجميع، وما رآه وسمع به يشهد، وشهادته ليس أحد يقبلها... إلّ أب يحي الملبّن وقد دفع كلّ شيء في يده. الذي يؤمن بالله بن له حياة أبديّة، والذي لا يؤمن بالله بن لن يرى حياة بلّ يمكثت على غضب الله الإنجيل بحسب يوحنا 3: 36-28.

بعد الاستشهاد بهذه الآيات، يجدر بنا أن نذكر أنّ المسيح دُعي ابن الله باعتبار كونه الأقدوم الثاني لله. ولهذا يجب أن يكون معلوماً، أنّ

لفظة آب وابن بالنسبة للعقيدة المسيحية بعيدة كل البعد عن المعنى المداول في الأبوة والمبونة البشريتين.

وقد سُمِّي الابن في الكتاب المقدس بالكلمة، وبصورة الله غير المنظور، وبهاء مجد الله ورسم جوهره، وعم أنوثيل الذي تفسيره الله معنا. وكل هذه الألقاب توضح لفظة ابن. كما أن الكلمة توضح الفكر، وتعلن ما هو عند العقل، هذا الكلمة المتجسد أعلن الله وأوضح فكر الله للبشر. وكما أن الرسم يمثل الهيئة، هكذا يسوع يمثل الله. وكما أن ضوء الشمس يبين بهاءها وهو من جوهرها، هكذا يسوع بهاء مجد الله يبين أمجاد اللاهوت الروحية. ولكن من فرط محبته استتر برداء الجسد مدة وجوده في دنيانا، حتى نستطيع أن نراه ونسمعه.

مما تقدم، نعلم أن الابن هو العامل في إعلان اللاهوت، كما أنه الوسطة لإعلان الله لوجدان الإنسان بطريقة حسية. وكذلك الروح القدس، الآقنوم الثالث، هو الوسطة لإعلان الله لضمير الإنسان، حتى أننا لا ندرِك كنه الإعلان بدون فعل الروح القدس، الذي يرشدنا لإدراك أسرار الإعلانات الإلهية. ويوحى من هذه الحقيقة، قال الرسول بولس: وليس أحد يقدِر أن يقول: يسوع رب إلا بالروح القدس 1 كورنثوس 12: 3.

قد تثير كلمة ابن اضطراباً ذهنياً عند البعض، إذ يتصورون على الفور بمقارنتها بكلمة أب، أن الأب أسبق زمنياً من الابن، وأن هناك فارقاً زمنياً ومركزيّاً بينهما. ولكننا نحب التأكيد هنا أن كلمة ابن الله لا يمكن أن تشير في قليل أو كثير إلى معنى عدم المساواة أو المتلاحق الزمني. وذلك لأن كلمة الأب نفسها عندما تُطلق على الله لا يمكن أن تقوم بالدليل المقابل إلا إذا وجد الابن.

يعلّمنا الكتاب المقدس أن الله منذ الأزل يُلقَّب بالأب. وهذا اللقب آب يحتّم بالضرورة وجود الابن منذ الأزل. ولعلّ منشأ الخلط والمتخبط في موضوع المساواة، الذي يقع فيه معظم الناس يعود إلى أسبقية الآباء على الأبناء، وعلى أساس الفارق الزمني بين الاثنين. ولكن التعبير الأدق والأصح، أن أحداً لا يستطيع أن يكون أباً إلا من اللحظة التي يوجد فيها الابن. الفارق الزمني في هذا الموضوع خيالي موهوم بالنسبة إلى الله وابنه يسوع المسيح. فإذا أُضيف إلى هذا أن الله لا يلد ولما يولد، كما يفهم الناس معنى الولادة في الأرض، كان علينا أن نُدفع عن الله عز وجل هذا المعنى، لتتصور معاني أخرى أقرب إلى المفهم.

فنحن نقول هذا ابن الحقّ وذلك ابن النور إشارة إلى التماثل التام بينه وبين الحقّ، أو بينه وبين النور. وبهذا المعنى دُعي المسيح ابن الله، لتمام الأزل التام القائم بين الآب والابن في ذات الله الواحد. وقد دُعي المسيح كذلك لأنّه هو الإعلان الوحيد الكامل الأزلي عن ذات الله للناس. أو كما نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين 1: 2-1: "الله، بعد ما تكلم الآباء بالأنبياء قديماً، بأنواع وطرق كثيرة، تكلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه. ويقرأ في الإنجيل بحسب يوحنا 1: 14 أن يسوع أعلن مجد الآب، إذ يقول: ورأينا مجده، مجداً كما لو حيد من الآب، مملاً وعان عمه وحقاً."